دراسات

سيميائية أدبية لسانية

محاور العدد :

- دراسات بلاغية.
- الأسلوبية.
- المناهج والنقد الأدبي.
- تحليل النصوص السردية.
- السيميائيات وفلسفة اللغة.
- الشاعر والقصيدة.
- متابعات.

العدد : 5

خريف ــ شتاء 1991

محمد صغير

دراسات سميائية أدبية لسانية

العدد : 5 خريف/شتاء 1991

• المدير المسؤول : د. محمد العمري

• رئيس التحرير : د. حميد لحمداني

• عنوان المجلة : ص.ب. 2309 ــ فاس ــ المغرب

• ترسل الاشتراكات في اسم محمد العمري حساب رقم 01521302701301 البنك المغربي للتجارة والصناعة ــ فاس ــ المغرب.

الاشتراك في أربعة أعداد :

المغـــــرب
- ☐ الطلبة 50 درهما.
- ☐ الاشتراك العادي 64 درهما.
- ☐ اشتراك المؤسسات 100 درهم

خارج المغرب
- ☐ اشتراك الأفراد بالبريد العادي 120 درهما
  بالبريد المضمون 200 درهما
- ☐ اشتراك المؤسسات بالبريد العادي 200 درهما
  بالبريد المضمون 300 درهما

• الايداع القانوني رقم 1987/47
• التصريح رقم 87/2
• ISSN 0851 - 2914

• المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها
• المقالات لا ترد إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر

- مجلة دراسات سميائية أدبية لسانية (دراسات سال).
- العدد الخامس – خريف – شتاء 1991.
- الغلاف : من تصميم الأستاذ شحمي العربي.
- المطبعة : النجاح الجديدة – البيضاء.
- التوزيع : شوسبريس – البيضاء.

فهـــرس المـــوضـــوعـــات

تقـديـــم

دراســات بـلاغيــة :

- المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي.
  د. محمد العمري..... 7
- شعرية العدول وفلسفة النحو.
  ذ. أحمد يوسف..... 25

الأسـلـوبيـــة :

- الرواية كقصيدة شعرية.
  دكالاس كلوفر. ترجمة : ذ. الجيلالي الكدية..... 32

المناهج والنقد الأدبي :

- نحو لاشعور النص أو البشلارية الجديدة.
  د. حميد لحمداني..... 45
- تداخل النقدي والشعري وإشكالية الخطاب النقدي الصامت. القصيدة العباسية نموذجاً.
  ذ. محمد الدناي..... 51

تحليل نصوص سردية :

- أم سعد والجسر المفتوح.
  د. عمر المراكشي..... 66
- نجيب محفوظ آخر الفتوات.
  ذ. عبد الرحيم مودن..... 84

السيميائيات وفلسفة اللغة :

- دور علم النفس في تأسيس فلسفة اللغة لدى أنطوان مارتي.
  د. عز العرب الحكيم بناني..... 94
- القراءة السميائية والمشروع اللاهوتي ـــ وقائع وتساؤلات.
  لويس باني. ترجمة نزار التجديتي..... 103

حـــوار :

- الشاعر والقصيدة : حوار مع الشاعر التونسي منصف المرغنّي..... 121

متابعـــات :

- حول ثبت مؤلفات نقد الرواية في الوطن العربي.
  ذ. سمر روحي الفيصل..... 133
- تعقيـــب.
  د. حميد لحمداني.....137.

اصـــدارات :

- سحر الموضوع..... 138
- اتجاهات التوان الصوتي في الشعر العربي..... 139
- البنية الصوتية في الشعر..... 141
- أصدارات أخرى (ص 24 – 50 – 102 – 120).

دور علم النفس في تأسيس فلسفة اللغة لدى أنطون مارتي

د. عزالعرب لحكيم بناني
شعبة الفلسفة ــ كلية الآداب
فـــاس

تـوطـئـــة :

يعد الفيلسوف انطون مارتي (1847ــ1914) من الرواد الكبار في مجال البحث في المنطق وفلسفة اللغة : ولد في سويسرا الألمانية. وأتم دراساته العليا بجامعة كوتنغن برسالة جامعية تحمل عنوان «حول أصل اللغة» تحت إشراف الفيلسوف هرمان لوتسوة سنة 1875. وعمل بعد ذلك أستاذا للفلسفة بجامعة براغ الألمانية. ولم ينقطع مارتي عن الكتابة والنشر إلى حين وفاته، سواء من خلال الكتب التي نشرها بنفسه، أو من خلال المقالات التي كان ينشرها على نحو منتظم في المجلات المتخصصة، أو من خلال الكتب التي نشرها تلامذته في إطار نشر أعماله الكاملة. ورغم المجهود الذي بذله تلامذته في إحياء تراثه الفكري، فإنه لم يلق بعدُ الصدى الذي يستحقه لدى الباحثين. لذا، سنحاول في هذه المقالة أن نُطلع القارئ على تعريف مارتي لفلسفة اللغة، مع بيان الدور الذي يلعبُه علم النفس في تحديد مجال البحث فيها. وتحدِّدُ العلاقة القائمة بين فلسفة اللغة وعلم النفس عند مارتي طبيعة البحث في مجال المنطق باعتباره سيكلوجيا الفكر Psychologie des Denkens. وسنبدأ أولا بتحديد مفهوم «فلسفة اللغة» عند مارتي من خلال تمييزها عن «علم اللغة».

التقابل بين فلسفة اللغة وعلم اللغة

يعرف مارتي اللغة باعتبارها «إخبارا واعيا بالحياة النفسية» وقد يَدخل في تعريف اللغة عموما

كل نظام رمزي يطلعنا على أمر معين، سواء تعلق الأمر بنظام قائم على المواضعة أو غير قائم عليها مثل انفعالات الوجه كالضحك والبكاء والغضب وغير ذلك، الا ان هذا المفهوم الواسع للغة في حاجة ماسة إلى مراجعة شاملة. فاللغة، لم تنشأ دفعة واحدة بناء على قصد مبيت لدى واضع مفترض لها. وحتى ولو افترضنا نشأتها من خلال واضعين متعددين، فإنها لم تتبع نظاما محددا أو منهجا واضحا دقيقا في نشأتها. وعندما تتخذ لغة معينة شكلها النهائي، لا ينبغي دراستها على أساس وجود مخطط مسبق، صاحب نشأتها بل على أساس هدف التواصل. لذا فأهم مميزات اللغة لدى مارتي هي الإخبار الإرادي بالصيرورات الباطنية. وتظل مسلمة إرادة التواصل خيطا ناظما في كل مرحلة من مراحل بناء نظرية في اللغة.

وقد حرص مارتي على التمييز بين «فلسفة اللغة» و«علم اللغة» ولا ينبغي فهم التقابل بين المفهومين على غرار التقابل الحديث بين «فلسفة الطبيعة» و«علم الطبيعة» باعتباره تقابلا بين منهج تأملي وآخر تجريبي بصدد فحص ظواهر الطبيعة. والحال أن فلسفة اللغة لا تختلف منهجيا عن علم اللغة لأنها تعتمد نفس المنهج التجريبي. فالبنيات اللغوية ذاتها مكتسبة وتتطلب فحصا تجريبيا بصدد نشأتها. وقد نذهب إلى أن فلسفة اللغة، على غرار علم اللغة، تعنى بنفس الظاهرة، أي اللغة، وإن من خلال انكبابها على زوايا وأجزاء مختلفة من نفس الظاهرة. فإذا كنا نميز في اللغة بين ما ندركه حسيا في العلامة الفيزيائية وبين مضمون أو دلالة العلامة، فقد نذهب إلى أن علم اللغة يهتم بالجانب الأول، بينما تعنى فلسفة اللغة بالجانب الثاني. لكن هذا التحديد غير كاف، لأن الفلاسفة وعلماء اللغة على السواء يعنون في ذات الوقت بالشكل والمضمون معا. وقد يذهب البعض أخيرا إلى أن فسلفة اللغة تعنى بالقوانين العامة المطردة بينما يعنى علم اللغة بما هو جزئي وملموس. وإذا كان الأمر كذلك، فسنضطر إلى إدراج فيسيولوجيا اللغة في دائرة فسلفة اللغة لأنها تسعى إلى اكتشاف قوانين مطردة. لذا يفضل مارتي أن يعرف فسلفة اللغة من خلال تعريفه العام التالي للفلسفة :

«كما أشرتُ إلى ذلك في موضع آخر[1]، كل أبحاث عالم النفس، وكل الأبحاث المهتمة بما هو عام ومطرد، وهي أبحاث يتعين عليها أن ترتكز على أبحاث علم النفس، وتلتزم بها بحيث تكون في خدمة تقسيم هادف للعمل وفي انسجام مع الأبحاث السيكلوجية ـــ أقول، كل تلك الأبحاث تسَمى أبحاثا فلسفية»[2].

لذا يجعل مارتي الميتافيزيقا وَعلم النفس على رأس العلوم النظرية في الفلسفة. ثم

---

(1) يقصد مارتي مقالته «ماهي الفلسفة» :
Was ist philosophie in Anton Marty. Gesammette schriften. B1, A1. pp : 69-94.

(2) Untersuchungen, 6

يستخلص مارتي تحديده لفلسفة اللغة من خلال الربط بين علم النفس والمنطق باعتباره سيكلوجيا الفكر كما أسلفنا. يقول مارتي :

«بوسعنا أن نعرف الفلسفة باعتبارها حقلا معرفيا ينضوي تحت لواء علم النفس وكل الحقول المرتبطة على نحو ضيق بالبحث السيكلوجي طبقا لمبدإ تقسيم العمل ؛ تدخل الميتافيزيقا (ونظرية المعرفة) ضمن العلوم النظرية، وتدخل الأخلاق وفلسفة الحق والسياسة (وعموما علم الاجتماع وفلسفة التاريخ) ضمن العلوم العملية، إضافة إلى المنطق وعلم الجمال، ويدخل أخيرا (...) مجال تاريخ الفلسفة، وكل الفروع الخاصة المنضوية تحته ضمن المباحث التاريخية ـــ المحسوسة»[3].

ويلوح من خلال اختزال مباحث الفلسفة في علم النفس كما لو كان مارتي يقتفي آثار النزعات السيكولوجية Psychologismes التي تولّى فريجه صَدَّ نفوذها في مختلف دراساته[4]. غير أن مارتي يستعمل مصطلح علم النفس بمعنى متميز في دراسته للمنطق ولفلسفة اللغة. ويربأ هذا الاستعمال بمارتي عن أن يقع في أية نزعة سيكلوجية، كما وُسم بذلك خطأ من لدن البعض[5].

يرى مارتي، على النقيض من ذلك، إستحالة تأسيس المباحث الفلسفية على علم النفس «عندما نعتبر قوانين المنطق والأخلاق بهذا المعنى خاصية سيكلوجية وعندما نخلط بين مفهوم «القانون» كأمر، معيار أو قاعدة لما هو صحيح أو سليم، وبين «القانون» في دلالته على وقائع عامة ـــ ضرورية، كما هو الحال مع قانون الثقالة والجاذبية أو كما هو الحال مع قوانين العادة»[6]. فقد تقودنا بعض الدوافع السيكولوجية إلى القيام بسلوك معين، لكن ذلك لا يعني ضرورة الحكم بصحة السلوك، لمجردِ أنه ناتج عن قوانين سيكلوجية مطردة. فمن يؤسس

---

(3) مارتي ما هي الفلسفة ص : 87.

(4) خاصة في كتابه «أسس نظرية العدد» 1884 «Die Grundlagen der Arithmetik» كان هدف فريجة هو أن يخلص اللغة والمنطق ونظرية العدد من هيمنة النماذج السيكلوجية، وأن يقيمها على أسس منطقية مستقلة. ويلوح كما لو أن مارتي يعتنق نفس النزعة السيكلوجية التي يتصدى لها فريجة لكن الأمر غير ذلك، إذ اذهبُ إلى أن جدة فريجه في تأسيس المنطق الرمزي المعاصر لا تعادلها إلا جدة مارتي في تأسيس فلسفة للمنطق واللغة. وتتجلى معالم الجِدّة في التأكيد على وحدة الفكر الإنساني وعلى ضرورة استخدام علم النفس ـــ بمعنى مغاير لما هو متعارف عليه اليوم ـــ من أجل الاهتداء إلى الأسس المنطقية للدلالة والفكر رغم اختلاف الألسن واللهجات.

(5) كما فعل B. Adifaes في تعليقه على محاضرة مارتي «ما هي الفلسفة» والمنشور بالصحيفة الأدبية ببرلين سنة 1908 ص 155 «Berliner Literatur-Zeitung»

(6) Marty, Untersuchungen p : 7

المنطق والأخلاق على الملاحظات السيكلوجية لا يلتزم في ذات الوقت بأية خصائص معيارية منبثقة من هذه الملاحظات. فالباحث يجعل من المنطق والأخلاق فرعين من فروع علم النفس، وهو علم يدرس بشكل خاص ما يحدث في مجال الحكم Urteil والارادة Wille والاختيار Wahl باختلاف الظروف طبقا لقوانين الطبيعة. فالخلط، يقول مارتي، بين ما هو منطقي وما هو سيكلوجي ينتقل من تفسير ما نحكم به وما نعتقده في ظروف معينة طبقا لقوانين نفسية إلى الحكم بصحة أو صدق ما نحكم به أو ما نعتقده ؛ كما لو أن إمكانية تفسير سلوك معين طبقا لقوانين معينة تبرير صحيح لوجاهة السلوك، مما يؤدي حتما إلى نزعتين نسبية وذاتية ذَاتَيْ تأثير سلبي مباشر على مفهومي الحقيقة والعلم. فالقوانين السيكلوجية تفسر حالاتنا الواعية لكن لا تحكم عليها بالصدق أو الكذب، أي لا تبرر وجودها معياريا سلبا أو ايجابا.

إعادة صياغة مفهوم علم النفس

إن حالاتنا الواعية لا تنحصر فقط في الحكم بالصدق والكذب. والحكم لا يعدو أن يكون حلقة في تيار شعوري أوسع. ينشأ الحكم طبقا لمعتقدات معينة، وتنتج عن المعتقدات أو الحكم مبررات كافية لتفضيل القيام بفعل ما أو اختيار فعل كذا وكذا. والبحث السيكلوجي يقوم أساسا على فحص الصلات الضرورية بين الاعتقاد والارادة والحكم، فعندما نختار أو نقرر أو نحكم، نقوم بذلك طبقا لمعتقدات معينة، أو، كما يرى أرسطو، طبقا لمبدأ الرؤية(7). فالمعتقدات التي يحيل عليها مبدأ الرَّوِيَّةُ علل ضرورية للقيام بسلوك معين : الارادة أو الاختيار أو الحكم. ويدرس علم النفس هذه العلل دون أن يتحول، مع ذلك، إلى علم معياري يحكم بصحة أو فساد المعتقدات، لأننا غالباً ما نسلك تبعا لها دون أن نعلم الشيء الكثير عن مصدرها، أو أن نتأكد من صحتها أو فسادها، صدقها أو كذبها. ولا نتمسك في الغالب باعتقاد معين لأننا نعلم شروط صحته، بل لأننا نتلقاه من خارج كما نتلقى أشياء العالم المادية. وتعتبر هذه الخصوصية الدلالية للاعتقاد ولمصدر الاعتقاد حجة ضد المطابقة بين ما هو صادق في ذاته وبين ما يقود الشخص في الواقع إلى اعتقاد ما أو إلى الحكم بصدق أو كذب قضية ما فالنزعة السيكلوجية باعتبارها نزعة علمية تخلط بين ما هو صادق في ذاته وما هو صادق في الواقع، وينشأ على نفس النحو وهم المطابقة بين ما هو قيم في ذاته Wertvolles وما نعتبره «خيرا» طبق لبعض قوانين الطبيعة. يدرس علم النفس القوانين الطبيعية

(7) أرسطو الأخلاق إلى نيقوماخوص، ترجمة إسحق بن حنين، وكالة المطبوعات. الكويت. الطبعة الأولى 1979 ص 114.

التي تدفع المرء إلى الاعتقاد الأخلاقي بقيم معينة دون أن تكون هذه القيم بالضرورة خيرة في ذاتها. فليس كل ما يكون قيما في الواقع طبقا لقوانين طبيعية يكون قيما في ذاته.

وقد يذهب البعض إلى فساد القانون الطبيعي السيكلوجي الذي يتحكم في الادراك والحكم والاعتقاد، فينتقد مثلا القانون الطبيعي المتحكم في الادراك لارتيابه في القيمة المعرفية لمصدر الادراك ؛ إذ قد يرى ان الحواس ليست ضمانة لصحة الأحكام. لذا، قد يرفض شهادة الحواس مع ديكارت ليقف عند شهادة البداهة Evidens. فتكون الأحكام والاختيارات، تبعا للموقف الديكارتي، شهادة على صحة الحكم وصحة الاختيار عندما تكون قائمة على البداهة، لكن مارتي يتصدى لهذا الموقف الديكارتي باعتباره نزعة سيكلوجية، فالبداهة ليست معياراً للصدق «إذ ليس كل ما يبدو بديهيا للواحد يبدو بديهيا لكل واحد»[8] إذ سيكون، حسب مارتي، من قبيل «النزعة السيكلوجية» الشنيعة أن نذهب إلى أن البداهة معيار للصدق، بالمعنى الذي نرى فيه أن حكما صادقا هو ما يلوح لنا على أنه كذلك باعتباره بديهيا من خلال شهادة التجربة الباطنية. يكون الحكم أو القضية الصادقة عامة كذلك بالنسبة لكل من يحكم بذلك. لكن ليس كل ما يلوح على أنه بديهي بالنسبة للواحد يكون كذلك بالنسبة لكل واحد آخر. فالبداهة الديكارتية تختلف كما وكيفا باختلاف الأشخاص. أما الصحة أو الصدق فيتمتعان بخاصية موضوعية مستقلة.

علم النفس : التجربة الخارجية والتجربة الباطنية

يعتبر علم النفس أساسا عند مارتي علما بالوظائف النفسية الكبرى، وهي وظائف التمثل Vorstellung والحكم Urteil والغرض Interesse. وإذا كان الأمر كذلك، فإن الميتافيزيقا ونظرية المعرفة تفترضان تشريحا مسبقا لوظائف الوعي. لذا، يلح مارتي على القول[9] بأن أغلب مفاهيم الميتافيزيقا تنبثق من ملاحظاتنا بصدد سلوكنا النفسي ومن «استجلاء Romperzeption مضمونه المتميز»[10] فأهمية وضرورة التجربة النفسية في المباحث الفلسفية تجعلان منها رباطا مشتركا بين كل المباحث. وقد حاول الفلاسفة من جهة أخرى فصم العلاقة الجوهرية القائمة بين علم النفس ونظرية المعرفة، واضعين بذلك جملة من القيود على وظيفة علم النفس. فهم يرون أولا ضرورة تقييد المعارف النفسية في إطار المعارف المكتسبة من خلال التجربة الباطنية. ويرون، ثانيا، أن أسئلة نظرية المعرفة ـــ مثل الأسئلة

---

(8) Marty, Untersuchungen 9 ص

(9) راجع مقالته «Was ist Philosophie ?»

(10) Marty, Untersuchungen 12 ص

المتعلقة بمجال وحدود وقيمة المعرفة تبعا لموضوعها المعرفي ـــ تقع خارج مجال علم النفس.

وقد بذل مارتي الكثير من جهده لرفع هذين القيدين المضروبين على علم النفس. وهنا ستبرز الأهمية الفلسفية لعلم النفس. فمارتي يميز بين نوعين من التجارب : بين التجربة الباطنية والتجربة الخارجية. الأولى تجربة مباشرة والثانية غير مباشرة «فما يعتبره باطلاق معطى مباشرا من خلال ما يسمى بالتجربة الخارجية ليس شيئا آخر في الواقع غير جزء من التجربة الباطنية، أي تجربة الإبصار والسماع. وسيستحيل اطلاقا وجود أي علم طبيعي من دون هذه التجربة. فنحن **نستدل**[11] erxhliessen فقط على وجود المادة الفيزيائية ـــ وهي مادة نمتلك بصدد وجودها قناعة علمية ـــ باعتبارها علة للوجود المتوالي أو المتزامن المطردين لانطباعاتنا واستدلالات التجربة وحدها تستحق إسم التجربة الخارجية. وبهذا يستحيل تصور مفهوم علم طبيعي لا يعتمد أدوات ومعطيات التجربة الباطنية»[12] فمفهوم المادة أو الجوهر ليس معطى مباشرا في الوعي لأنه ليس موضوع تجربة مباشرة «فالمعطى المباشر الذي يتأسس عليه العلم الطبيعي (...) ليس أولا شيئا آخر غير بعض معطيات التجربة الباطنية، انه الوجود اليقيني المباشر لأفعال الأبصار وأفعال السمع»[13].

وينتج عن وجود نوعين من التجربة وجود نوعين آخرين من الاعتقادات : اعتقادات مباشرة، واعتقادات غير مباشرة. لا نعتقد من ناحية أولى فقط أننا نرى شيئا أو نسمع شيئا ؛ قد نكتشف فيما بعد أن هذا الاعتقاد كان كاذبا ويكفي أن نعود إلى الحجج التي يقدمها ديكارت[14] ضد شهادة الادراك الحسي لنتأكد من ذلك. لذا فنحن لا نقف عند هذا المستوى الأولي، بل نعتقد (فضلا عن ذلك) بوجود حالة وعي بصري أو حالة وعي سمعي بصرف النظر عن وجود موضوع للادراك البصري أو السمعي. والاعتقاد الناتج عن وجود حالة وعي إدراكي ليس عرضة للشك الديكارتي لأن الأمر يتعلق هنا بوجود تجربة مباشرة بينما ينصب الشك الديكارتي أساسا على التجارب غير المباشرة.

من ناحية أخرى، فإن القناعة غير المباشرة متعلقة بوجود موضوع فيزيائي للإدراك البصري من خلال التجربة الخارجية. وتتحول هذه القناعة غير المباشرة إلى قناعة علمية حينما نتبين ان العالم الخارجي بما فيه تجربتنا الخارجية علة لوجود تجربة باطنية، بصرف النظر عن طبيعة

---

(11) التأكيد من طرفنا على أهمية مفهوم الاستدلال لدى مارتي.

(12) ص 13 Untersuchungen

(13) ص 16 Untersuchungen

(14) ديكارت تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى ترجمة انسي الحاج دار النشر عويدات.

الخصائص الفيزيائية أو الجزئية أو عن العلاقات المختلفة بين العناصر الموجودة في العالم الخارجي. فنحن نسلك في الواقع طبقا لعلل طبيعية لا نعلم في الغالب إلا النزر القليل عن خصائصها.

هكذا يأخذ علم النفس دلالته الفلسفية عندما يضم التجربة الخارجية ـــ أي استدلالات التجربة لدى علماء الطبيعة ـــ إلى التجربة الباطنية. ويسمي مارتي هذه التجربة الباطنية تمثلا Vorstellung أو تمثلا مفهوميا[15]. وهو نفسه يصبح موضوعا لتمثل آخر وهكذا دواليك. والتمثل الموجود في الوعي الباطني تمثل حقيقي، له وجود واقعي في الوعي، فهذا يعني وجود صيرورة نفسية واقعية. فعلم النفس يؤكد على التلاحم القائم بين التجربتين الباطنية والخارجية. فرؤية الألوان وسماع الأصوات لا تحمل في طياتها أية ضمانة ذاتية حول واقعية ما تقدمه لنا الألوان والأصوات الخ.. والحدوس الحسية ظواهر علينا أن نتساءل بصددها ان كان بوسعها أن تصدق كعلامة للدلالة على واقع معلِّل لها، أي على «شيء في ذاته» فيزيائي. وعلينا أن نتمسك بشيء واحد في هذا البحث، وهو أن تلك الظواهر معطاة في الواقع أي أننا نرى الألوان ونسمع الأصوات «فكل استدلال من التجربة (...) يتعين عليه أن ينطلق من معطى التجربة»[16].

أهم ما نستخلصه الآن من تحديد مارتي لعلم النفس هو أنه علم بالحالات والصيرورات الواعية أي علم وظائف الوعي. فهو يقدم تشريحا للوعي يقف فيه على وظيفة أولية وهي وظيفة التمثل. ونقف في التمثل على مستويين معرفيين مختلفين : مستوى المعرفة المباشرة ومستوى المعرفة الإستدلالية أي غير المباشرة، فتسمح لنا المعرفة المباشرة بالوقوف على علتها الخارجية في الواقع.

وهنا يتوقف مارتي عند القيد الثاني الذي وضعه بعض الفلاسفة على علم النفس، وهو قيد مفاده أن نتائج علم النفس ليست أكثر جدوى بالنسبة لنظرية المعرفة من نتائج العلوم الطبيعية. وهذا الموقف ليس جديدا فيما نسميه «**بحقيقة علم البحث**»[17]، إذ آلت العلوم التجريبية الجديدة على نفسها أن تحتل الواقع في رمته، وأن تستعيض بمناهج تجريبية مفتوحة يلتَفُّ حولها عدد متزايد من العلماء عن المناهج التأملية في المثالية الكلاسيكية. لكن يتبين لنا مما

---

(15) يميز مارتي بين مفهوم التمثل ومفهوم الظاهرة بالمعنى الكانطي، فالمفهوم الأولى تواصلي ـــ دلالي والمفهوم الكانطي ليس كذلك فالمفهوم الكانطي لا يعدو أن يكون تركيبا قبليا في المكان والزمان القبليين لمفهوم غير تواصلي، الادراك الحسي.

(16) ص 16 Untersuchungen

(17) وهو مفهوم استخدمه اشنيدلباخ للتمييز بين العلم كنسق مغلق والعلم كنسق مفتوح. راجع Schnädelbach (H) Philosophie in Deutschland (1831-1933) Surkamp 1983.

سبق أن العلوم التجريبية تفتقر في نظرية المعرفة إلى علم النفس افتقارها في ذلك إلى المعرفة المباشرة. فاستدلالات التجربة في العلوم ترتكز على وجود معطيات مباشرة في الوعي، أي أن التجربة الخارجية تتوقف على التجربة الباطنية والمعرفة الاستدلالية تتوقف على المعرفة المباشرة.

خـلاصـــــة :

إذا استقر في الذهن كيف يحدد مارتي علم النفس باعتباره فلسفة تشريحية لوظائف الوعي، سهل علينا فهم تعريفه الدقيق لفلسفة اللغة :

«تنتمي إليها [إلى فلسفة اللغة] كل القضايا المنصبة على ما هو عام ومطرد في الظواهر اللغوية، وهي قضايا يَنظم بينها خيط رفيع بحيث تكون من طبيعة سيكلوجية مشتركة، أو لا يكون بالوسع تناولها من دون مساعدة مستفيضة على الأقل من لدن علم النفس»(18).

وهنا، لابد من بعض الملاحظات الأخيرة :

1) ليس كل بحث منصب على الظواهر الكلية والمطردة بحثا في فلسفة اللغة، وإلا ستكون فيسيولوجيا اللغة فرعا من فروعها.

2) لن تهتم فلسفة اللغة بالظواهر المطردة فقط، بل ستُعنى كذلك وأساسا بنظرية الدلالة، خصوصا إذا ما جعلنا من علم النفس فلسفة تسريحية لوظائف الوعي ومضامينه، وهذه المضامين هي ما تكشف عنه وتدل عليه الأدوات اللغوية. لكن ليس كل من يهتم بالدلالة فيلسوفا للغة، كما هو الشأن مع فقهاء اللغة، مع المؤرخين أو مع علماء المعجم.

3) إذا كان لزاما على فلسفة اللغة أن تعنى أساسا بالدلالة، فعليها تبعا لذلك أن تفحص الحدود التي تكشف عنها، وهي حدود يسميها مارتي صيغة القول Sprachform أو منهج التعبير Ansdrncksmittel. وتنقسم ذاتها إلى باطنية وخارجية، ويحاول علم النفس من خلال تشريح وظائف القول أن يميز صيغ القول التي تنتمي إلى الدلالة عن تلك التي لا تنتمي إليها.

* * *

مـراجـــــع :

أرسطو : الأخلاق، إلى نيقوماخوص. ترجمة اسحق بن حنين. وكالة المطبوعات. الكويت. ط : 1. 1979.

---

(18) Untersuchngen 9: ص